

الإقطاع الصفوي ومخاطره على مستقبل العراق والمنطقة

في مرحلة من مراحل التاريخ كان الإقطاع يقتصر على القطاع الزراعي. ومع ظهور النظم الشمولية، كالماركسية والنازية والفاشية، وتأميمها للأراضي والممتلكات ووسائل الإنتاج، نشأت أنواع جديدة من إقطاع في مجالات عديدة، سياسياً واقتصادياً وصناعياً وإدارياً، وإعلامياً. وفرخت بعد ثورة الخميني في عقول وعاظ سلاطين الدولة الصفوية والملالي ومأجورين من رجال دين وسياسيين والحاكمين في ظل سلطانهم " ولي الفقيه " إنقت شعوذاتهم الشيطانية فشكلت إقطاعاً طائفيًا خطيراً على الشعبين الإيراني والعراقي وشعوب المنطقة يمكن تسميته بالإقطاع الصفوي. ومن أهم سمات هذا الإقطاع الطائفي الصفوي المقيت :

تصدير ثورة الخميني الصفوية الى دول المنطقة والخليج العربي.

التصميم على إقامة دولة صفوية في العراق تابعة لإيران. ولذلك أخذ يعمل على :

أ – سلخ جوهر العروبة المتسامي من الطائفة الجعفرية في العراق وتحريف الصيغة الأخلاقية للعروبة المتسامية.

ب – تشويه مبدأ الدفاع عن الحق والعدالة الذي جسدها الأمام علي بن أبي طالب.

ج – مقاومة محاولة بناء عراق مستقل يتمتع بالسيادة على أساس المساواة التامة مع دول العالم. حيث المطلوب أن يكون ولاء العراق لإيران فقط.

د – أن لا يكون العراق وطن مشترك لكل العراقيين ودون تمييز بين طوائفه ومذاهبه وقومياته. لأن توجهه يقوم على أيديولوجية طائفية تمييزية لا تعيش إلا في جو الانقسام الطائفي.

ه – تخييب الوجه العربي للعراق لأن هذا الإقطاع عنصري الوجه واليد واللسان والسيرة والسلوك.

تحقيق حلمه بإقامة " الهلال الصفوي " في منطقة الشرق الأوسط.

ومن أجل تحقيق أحلامه وفتت إقطاعياته ضد مصالح جميع دول المنطقة والعالم التي يرتبط أمنها وإسقرارها ومصالحها الإقليمية والدولية بالسلام الدائم في منطقة شرق الأوسط.

وقد لاحظنا كيف أن نظام صدام حسين، حالما تم إسقاطه من قبل الولايات المتحدة والدول المتحالفة معها. اندفع الإقطاع الصفوي بكل تلاوينه العاملة مع قوة الإحتلال ملوحاً للمستضعفين والفقراء بأنه يمثل حلماً منقذاً لهم من المظلومية والاستغلال والبؤس. غير أن ممارساته دلت عكس ذلك حيث قام مع بداية إندفاعه بسلب أموال المواطنين والإستيلاء على ممتلكات الدولة وجعل الملالي والمنتفعين من رجال دين وسياسيين وريثة النظام السابق وأخذ يتغلغل كحشرة الأرضة زاحفاً بوسائل شيطانية عن طريق الترغيب والترويع والتهديد والإرهاب في أعصاب وخلايا وبيوت العراقيين كافة. ممارساً مجازر مذهلة ودموية ضد أبناء الطائفة الجعفرية ابتداءً بذبج عبد المجيد الخوئي في صحن الإمام علي وسحله في شوارع النجف. وبعد أن حلل القتل والذبج بموجب شرائع ملاليهم الشيطانية متفقاً مع التكفيريين الإرهابيين من قاعدة بن لادن والزرقاوي. قام بتوزيع المليشيات في كل مكان وأغرقت الشرطة والحيش وأجهزة وزارة الداخلية بهم، ليصبخوا أكثر عسفاً وأشد دمويةً. عاملاً على تعميم وتوسيع مجازره، حيث بدأنا نشهد جثث الأطفال على صدور الأمهات وجثث من غير مقابر مرمية في شوارع المدن والبيوت والمدارس والساحات متخذين من ذلك الوسيلة الوحيدة لجهادهم الصفوي ..

وكذلك جعل الإقطاع الصفوي كل اشكال السلطة حكراً لإقطاعياتهم الظالمة وهذا الإقطاع الجديد لا يتعلق، في هذه المرحلة الزمنية، بالأراضي فقط كما كان الحال في العهد الإقطاعي القديم، إنما يتعلق بأراضي وعقارات وفروع الصناعة والزراعة والنقل والاتصالات والتجارة والمصارف والجامعات وكذلك بالمؤسسات المدنية... إلخ. ولذلك بعد أن عزل الإقطاع الصفوي الأكثرية الساحقة من الشيعة من الدخول في مجالهم وممارستهم – والله في عون الآخرين من غير الشيعة – إستحوذ على السلطة السياسية والاقتصادية بكامل فروعها وتحكم في توزيع الغنائم المسروقة والمستلبة من الشعب على الملالي والمقربين والانتهازيين بما يتناسب مع درجة ولائهم له. ولذلك فكل المفاهيم التي كان يستخدمها " الأب والراعي والرحمة ورفع المظلومية أصبحت شعارات نفاق وكذب وإحتيال والوشاية المأجورة، وبعدها يغفر لهم الله بالدعاء والتوبة والشفاعة والتقبة والمكررات. وهذه من أكثر الوسائل مردوداً لنشر الفساد وإسباغ سمات الذكاء والشطارة والفهلوية عليه. وأخذ الإنتماء الوطني ينحدر إلى الإنتماء الطائفي الضيق كما كانوا يخططون.

إن هذا النمط من الإقطاع قد سلم أمر البلاد بسبب فتاوى كبيرهم السيستاني بيد قراصنة البر والبحر من الصفويين، من حيث لا يمكن لهؤلاء القراصنة أن ينتجوا غير الإستبداد والإرهاب، والسلب والنهب والإختلاس وكل أشكال الفساد. لخدمة سلطتهم وولي أمرهم وأمنهم ورفاهيتهم واحتفالاتهم الصفوية؛ كما نراها الآن من سيارات مصفحة وأبنية شاهقة ومكاتب فخمة وحماية أمريكية متميزة، فعلاقات المجتمع الصفوي في الحقيقة تريد أن يبرز الشعب تحت وطأة مجتمعات إقطاعية بامتياز بإعتبار المالكي هم الأبناء وراعين للمستضعفين في الأرض.

إن منطق الإقطاع الصفوي، فيما يتعلق بمسؤولي ورؤساء دوائر الدولة يعني أن يلتهموا الأموال من خلال دوائهم، لأنهم مطلقوا اليد في أموالها، فلا حسيب ولا رقيب. وفي هذا وذاك تكثرت العمولات والإختلاسات التي توجه إلى إشباع غرائز ملائيم وحكامهم الدنيئة في شراء العقارات و"الشاليهات" والمزارع في انحاء العالم، وينفقون من الأموال الكثير على نظامهم الصفوي وأصحاب الحظوة، والمطيعين والإداريين، ومكافآت الإنتهازيين ثم يُعهد إلى مرتزقتهم لحرق البخور ودق الطبول، لهم ولنظامهم ولولي أمر ملائيمهم " خامئي " بالسر عملاً بمذهبهم القائل " التقية واجبة " .

فإذا حدث وبلغ أحد ما عن جريمة إختلاس أو إستلاب أو رشوة أو غيرها، تدخلت الرشاوى والوساطات وشفاعات المالكي لتغلق الملف وتحمي الأثم. وكما حدث ذلك فعلاً عندما أثار مختلس بنك بترا في الأردن أحمد الجلبلي مسألة الفساد في وزارة الدفاع وإعتبرها أكبر عملية إختلاس قامت بها مجموعة حازم الشعلان بدون أي رادع قانوني أو وازع أخلاقي. لكن الصفويين سكتوا بعد ذلك والسبب ليس لأنهم ضد الفساد بل لأنهم هم المفسدون في الأرض ولا سيما في العراق وإيران والمنطقة، لأن هدفهم من ذلك كان سعياً للحصول على سهم من الغنيمة وعندما تحقق لهم ذلك أخذنا نرى من كان يصرخ بالأمس الفساد الفساد في وزارة الدفاع نراه اليوم صمت صمت أهل القبور.

والسؤال المطروح على رئيس الوزراء السيد نوري المالكي. ألم تلجم أفواه إبراهيم الإشيقر والصفويين وأحمد الجلبلي بالذات الرشوة والوساطات والمساموات عن محاسبة أكبر عملية فساد في وزارة الدفاع فترة رئاسة البعيد عن الحق والوطن أياد علاوي؟ وهي وزارة كانت غير محسوبة على ملاك الصفويين. إذن كيف حال الفساد في وزارات محسوبة على ملاك الصفويين كالمالية والداخلية والنفط؟ نحن لا ننتظر من المالكي الإجابة بصدق ولو لمرة واحدة لأن شيمهم بالكذب لا بالصدق. ونتيجة لذلك كله، هبطت المستويات الإدارية والفنية في مؤسسات الدولة، فلا عمل صادق ولا رأي مفيد ولا نظر مستقيم. وبالرغم من كل هذا الفساد وسط الكم الكبير من المفسدين بكل ثقة نقول لا بد للقدر أن يستجيب في يوم قريب ويمسك الشعب زمام المبادرة لمحاسبتهم محاسبة مشروعة.

والإقطاع الصفوي يرى إن من حقه أن يحكم العراق حكماً أبدياً لأن مذهبه الصفوي المستورد تأسس على مقياس سيطرة المالكي على الأحكام الفقهية والوضعية. ويقوم بموجب شرائعه الشيطانية بتأميم الأديان والمذاهب والعقول والأفكار وكل ما هو حضاري وإنساني. غير مبالٍ بحقوق الطائفة الشيعية أو المسلمين أو عامة أبناء الوطن أو إحترام حقوق الإنسان.

وهدفهم في ظل هذه البنية الشمولية الإقطاعية، أن يفقد المواطن كفرد حرته وكيانه وشعوره وتبعيته وولاءه الوطني. ليملكه شعور دائم بعبوديته للصفويين في معظم شؤون حياته ومستقبله، وحتى في صوغ وتنميط شخصيته ونفسيته وأخلاقه.

لقد قام الصفويون في تشكيل إقطاعيات صفوية في الحياة السياسية والإقتصادية وكافة مجالات الحياة تقريباً. من أجل الهيمنة وممارسة سياسة الإستئصال والنفي المستمر للرأي الآخر، وعدم الثقة بالشعب والخوف الدائم من إسهامه في القرار السياسي. ليقوم المجتمع على مفهوم الإقطاع الصفوي، المبني على مفهوم ولاية الفقيه وإطاعة ولي أمر المالكي في الدولة والمجتمع.

إن الطائفة الجعفرية لم تكن يوماً أسيرة في بنيتها الاجتماعية - السياسية، منذ تأسيس الدولة العراقية لأي شكل من أشكال (الإقطاع). بالمعنى القديم والحديث على النحو الذي أخذ الإقطاع الصفوي يؤسرها اليوم في العراق كما هو الحال في إيران فالإقطاعي الصفوي اليوم هو حر يحجر ويغلق على أبناء الشيعة الأبواب والنوافذ ويسوقها ويستثمرها كما يشاء. وصراعها مع مكونات الشعب العراقي ولا سيما السنة أصبح ظاهرة واسعة ويومية ودموية، ويتم تمويهها بالقول بأنه صراع بين الدولة والإرهاب، في حين إن هذا الصراع في الحقيقة بين تشكيلات التخلف وإرهاب إقطاعيات الصفويين مع الزرقاويين وطموحات الشعب في حياة اجتماعية تتوفر فيها درجات من الحريات الحضارية.

إن الدعوة للقضاء على الإقطاع الصفوي لا يتم بالوسائل الهمجية كما هو ديدنهم. بل تتم بالحكمة والمعرفة الرشيدة وبوسائل ديمقراطية مشروعة ونأمل أن يتحقق من خلال الأحزاب والمنظمات الوطنية ومؤسسات المجتمع المدني ونضال العراقيين كافة أينما كانت مواقع تواجدهم. وأن نجعل من الدستور بعد تعديله والقانون فيصلاً بين إقطاعياتهم وبين حقوق وأمنيات الشعب في مثل هكذا قضايا شائكة لكي لا يُظلم من الأبرياء أحد.

وعلى الرغم من كل ما يعتري البرلمان من شوائب وضعف على المستوى التركيبية والفعالية السياسية نأمل أن نراه برلماناً مستقراً خالٍ من فوضى الشوارع والأسواق تحتضن قوة وطنية معارضة في داخلها. معارضة تدفع أعضائها بإعادة النظر بولاءاتهم ومواقفهم من خلال نقد بناء يأتي بالإصلاح والتصحيح والإغناء والبناء السليم. إذن خلق معارضة وطنية قوية داخل البرلمان وخارجه تشكل ضرورة ملحة ولا سيما إن العراق يعيش أسوأ مرحلة من مراحل تاريخه الحديث. لإستئصال الشوائب القديمة والحديثة الغارسة في جسم البلاد بوسائل حضارية لتبدأ مرحلة بناء الديمقراطية في البلاد.

والمعارضة الوطنية مهما كانت اليوم تعاني من ضعف داخل البرلمان. فلا بد لها أن تنهض وتقوى لصالح مكونات الشعب العراقي من دون تمييز. وذلك بالعمل الجاد لرفع مستوى وعي الجماهير وهذه مهمة الوطنيين الأحرار. لأن عراق اليوم بأمس الحاجة لمعارضة قوية تراقب ممارسات السلطة سواء في القطاع الاقتصادي أو قطاعات الدولة والمجتمع الأخرى، وكبح أفة الفساد التي راحت تقنم كالهشيم كامل النسيج المجتمعي. وأن تبرهن بالحد الأدنى نزاهة المقاومة الوطنية وعزلها عن الإرهاب المنسوب لها من قبل الصفويين. وبيان مفاهيم الحرية والديمقراطية الذي شهد بعض التبلور والنمو والتقدم إبان حكم الإحتلال بأنها لا تعني ترك الأمور لجعل العراق دولة صفوية تابعة لإيران على حساب جنث العراقيين.